# أموات من الأسرة الثامنة عشرة

هنالك لدى المؤسسة الدولية للأبحاث النفسية في لندن ملف به أسطوانة صنعت في أيار عام 1963، وهذه الأسطوانة سجلت بها أصوات صادرة عن الحنجرة تدل بوضوح أنها صوت امرأة ويسمع الصوت في هذه الأسطوانة يقول «إيوثوبيا».

هذه الأصوات تشبه أصوات لهجات إفريقية وطنية ولكن لو كان الأمر كذلك لما تكلف علماء لندن مشقة تسجيلها فهذه الأصوات الغريبة هي جزء من لغة لم يتكلمها أحد منذ حوالي (2500) عام، فهي جملة مصرية قديمة معناها (أنا هرم جداً) ولكن هذا ليس هو المظهر المثير والغريب الذي لا يصدق بالنسبة لهذا الأمر فالجزء الذي لا يصدق منه هو أن كلاً من اللغة والصوت أَتَتْ من عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية ولفظته امرأة وهي معلمة في مدرسة ليفربول أثناء غيبوبة أصيبت بها حديثاً في عصرنا الحاضر ولكنها كانت تحت تأثير امرأة عاشت قبل (3500) سنة تقريباً، وهذه العملية تدعى (التكلم بلسان أجنبي أثناء النوم) وبدأت هذه القصة تجذب انتباه العلماء مؤخراً.

ما هي هذه الظاهرة؟ فالكلمة (Xenoglossy) مؤلفة من كلمتين يونانيتين والكلمتان معناهما الكلام أثناء النوم والغيبوبة بلغة أجنبية لم يعرفها المتكلم أبداً.

ويعتقد علماء التخاطر النفسي أن من متطلبات هذه المقدرة التوتر النفسي والإثارة العقلية. وبما أن هذه الظاهرة قليلة الحدوث لذلك لم يعطِها العلماء حقها من

البحث والتمحيص وإنَّ أقدم ذكر مكتوب لهذه الظاهرة موجود في تاريخ الرسل المسيحيين (الكورنثيين رقم 12) ففي أثناء انفعالهم برسالتهم بدأ الرسل فجأة يتكلمون اللغات الأجنبية ففي عام 1634 كانت الراهبات في إحدى أديرةِ لندن يتكلَّمْنَ اللاتينية واليونانية والتركية والإسبانية وهن في حالة غيبوبة. وفي منتصف القرن الماضي قدمت (لورا أدموندز) مثالاً ممتعاً لهذه الظاهرة عندما بدأت تتكلم اليونانية الكلاسيكية دون أن تعلم ماذا كانت تفعل.

إن المقدرة الغريبة للسيدة (ب) التي لم ترغب في كشف اسمها الحقيقي لأنها كانت تشتغل بالتعليم ولكنها اتخذت لنفسها فيما بعد اسماً مستعاراً هو (روز ماري) هذه المقدرة الغريبة اكتشفت صدفة فقد قابلت في مدرستها أستاذ الموسيقى ويدعى الدكتور (فردريك هربرت وود) الذي كان يشتغل في الدراسات النفسية التخاطرية وقد كتب الدكتور (وود) يقول: «إن اهتمامنا المشترك كان الموسيقى فقط ولم يكن للسيدة (ب) أي اهتمام بعلم النفس التخاطري ولم تكن مهتمة بأبحاثي على الأقل حتى ذلك اليوم في فصل الخريف عام 1927 عندما وقفنا معاً وبدأت المعلمة فجأة ترسم أحرفاً غريبة على قطعة من الورق، وقد كان من الواضح كما كتب الدكتور (وود) فيما بعد «أنَّني وجدت مايدعونه بالوسيط الكاتب» ولم يدرك الدكتور (وود) حينها أن السيدة «ب» قد فاهت بكلمات مصرية قديمة ولكنه شكل تلك الشبهة فيما بعد وبالتدريج وأخيراً التجأ إلى عالم الآثار المصرية الدكتور (الفرد هوارد هولم) الذي استطاع أن يعين هوية العلامات الأولى.

تتبع الدكتور (وود) كتابات السيدة (ب) وهذا العمل لم يستغرق أكثر من عشرين دقيقة وذلك بعين العالم المدقق البصير. وبعد ذلك وفي 8 آب عام (1931) أجرِيَتْ تجربة أدت إلى فتح آفاق جديدة وللمرة الأولى بدأت السيدة «ب» تلفظ أصواتاً غريبة تشبه (آه ـ بيت ـ زولا) وكانت هذه الكلمات تعني (لقد سمعت شخصاً ما يقول شيئاً ما) وكانت هذه الأصوات غير واضحة ومن الصعب تمييزها

حتى إنَّ علماء الآثار المصرية وجدوا بعض الصعوبات في كتابة ما قيل، ولكن أثناء التجارب التي امتدت بضع سنوات استطاع الدكتور وود والدكتور (هولم) أن يطوروا طريقة جعلتهما قادرين أن يترجما الأصوات المدونة أثناء التجربة خلال بضع ساعات.

كيف يتسنى لامرأة أن تعيد لفظ جمل كانت تتوارد في خاطر شخص ما قد مات منذ (3300) سنة تقريباً؟.

قالت السيدة «ب»:

«إنني أشعر أن هذه الجملة وكأنها لغة غير مسموعة وأحس أنها تتشكل في جزء مختلف من أجزاء الدماغ غير الجزء المخصص للكلام ويستطيع المرء أن يفترض أنها تحدث في مكان ما بين الدماغ والجمجمة».

كانت الكلمات تنساب بسهولة عندما لم تكن تفكر بشيء أكثر مما لو كانت تفكر في مسألة ما أو في أمر ما.

وقد وصفت هذه الحالة بمايلي: «إن الشخص إذا أراد أن يتكلم فيجب أن يصوغ أو يكون فكرة. وعندما يتكلم الصوت الداخلي لا أفكر بشيء تتحرك وتتشكل الكلمات ولكني لا أستطيع أن أقول كيف يحدث كل هذا، وأنت عادة تتذكر ما تقوله على الأقل لفترة قصيرة من الزمن ولكني لا أستطيع أن أتذكر أي شيء أقوله وأنا في الغيبوبة فلا أستطيع أن أكرر ما قلته ولا أستطيع أن أعبر عن الفكرة ومحتوياتها مرة ثانية».

وقد حاول الدكتور (وود) أن يتأكد من صحة هذه الأقوال وذلك بإعادة نفس الأسئلة بعد أشهر وبعد سنوات وكانت الأجوبة التي استلمها متطابقة مع الأجوبة السابقة ولكن بكلمات مختلفة.

وقد شرح الدكتور (وود) أيضاً أن تجاربه كانت تقاطعها مؤثرات خارجية مثل ضجيج أزيز الطائرات والموسيقى الصادرة عن الراديو وأصوات السيارات

المارة. وقد أكد (وود) أن مثل هذه التجارب يلزمها الهدوء التام وذلك لتجنب أي تشويش وهذه التجارب التي استغرقت عشرات السنين توفر أثناءها الهدوء الجسماني والعقلي التام.

وقبل بدء التجارب كان (وود) والسيدة «ب» يجلسان متقابلين مدة تمتد بين دقيقتين إلى خمس دقائق وهما يكتبان، وبعد ذلك كان «وود» يدون بعض الأفكار أو الأسئلة في الوقت الذي كان يضع به المرأة في حالة غيبوبة بواسطة التنويم المغناطيسي وهذا ما يجعلها قادرة على فهم أفكاره المجردة دون أن ينطق بأي كلمة. .

## طليقة المرأة الرابعة للفرعون أمنحوتب الثالث:

استغرق «وود» و «هولم» ثلاث سنوات لاكتشاف اسم صاحبة الصوت الذي يصدر عن السيدة «ب» وقد ذكر الصوت اسمها مرة في يوم 5 كانون الأول من عام 1931 خلال لفظها سلسلة تتألف من (28) جملة مصرية وقد استطاع «هولم» ان يترجم جميع الكلمات ما عدا كلمة «فينتيو» وبعد ستة أسابيع لفظت السيدة (ب) اسماً آخر هو «طليقة» وكررت الاسم السابق (فينيتو (Ventiu)) وبعد ستة أشهر ظهر كلا الأسمين في محادثة أثناء الغيبوبة وكان هذا نوع من اللغز بالنسبة لعلماء الحضارة المصرية وذلك لأنه في الماضي كان الاسم الملفوظ هو (نونا) ومعناه الشخص الذي لا اسم له.

ولكن حدث في 6 حزيران 1935، أن كشف الصوت عن حقيقة تلك المرأة فقد كان الاسم هو (طليقة) وقد ولدت هذه في بابل ولكن عندما حضرت إلى مصر أعطيت اسم (فينتيو) وقد تحدثت عن نفسها باسم (نونا) وذلك لأن اسمها لم يكن له مكان في التاريخ المسجل.

يعلم علماء الحضارة المصرية أن الرقيم الذي وجد في قرية (تل العمارنة) عام 1886، احتوى بين أشياء أخرى على المراسلات بين أمنحوتب الثالث وملك بابل

(قاداش مان غنليل) فالفرعون كان قد تزوج اخت (قاداش مان إنليل) ولكن لم يعرف اسم الملكة.

كانت زوجة أمنحوتب الثالث الأولى هي (تيجي) وهي والدة أمنحوتب الرابع الذي اتخذ لنفسه اسم (أخناتون) فيما بعد وتذكر رقم تل العمارنة ثلاث زوجات أخريات للفرعون وهن الأميرتان (جيلوشيبا وتادوشيبا) فضلاً عن أخت الملك البابلي التي لم يسجل اسمها وهذه المرأة من الواضح أنها (طليقة) صاحبة الصوت وقد ورد اسمها في رسالة بعث بها (قاداش مان) إلى أمنحوتب يخبره عن استغرابه لأن الفرعون يطلب الآن الزواج من ابنة الملك البابلي بينما هو لا يزال متزوجاً أخته أي أخت الملك البابلي ثم يقول «ولكن لا أحد قد رأى أختي فهل هي حية أم ميتة، لقد قلت لرسولي وزوجاتك واقفات أمامك: «انظر إلى سيدتك وهي واقفة أمامك ولكن رسولي لم يتعرف عليها فهل كانت أختي يا ترى»؟.

إن الشك الذي أنتاب ملك بابل كان له ما يبرره وذلك أن طليقة لم تكن حية حين وصول الرسول وأن الفرعون كان يريد أن يعيد عدد الزوجات الأجنبيات إلى الرقم السابق بإضافة ابنة الملك البابلي. فقد كانت طليقة مكروهة جداً في بلاط الفرعون وكانت الملكة (تيجي) تشك وتغار من نفوذ (طليقة) على الفرعون وكان كهنة أمون الفاسدون يخشون أيضاً من تعاطف (طليقة) مع الدين الجديد (دين الإله آتون) الذي أعلنه أخناتون بعد بضع سنوات ليكون دين الدولة الرسمي.

لا ينبغي أن نقلل من تأثير الأميرة البابلية ونفوذها لأنها بصفتها زوجة الفرعون كانت (أتوماتيكياً) لها وظيفة كاهنة ومن الواضح أن (طليقة) كانت شديدة الانتقاد لمكائد الكهنة والسحرة ولهذا السبب فقد كانت تنظر بعيْنِ العطف للدين الجديد.

ومن مركزها ككاهنة بدأت (طليقة) تصرح بتفاصيل ممتعة تاريخية فقد أخبرت عن نفوذ الكهنة فقالت «أعلم أن السلطة العظمى التي يمارسها الكهنة قائمة على الخرافات وهذه الخرافات تسمح للكهنة بالسيطرة على الشعب فالشعب يتحاشى قوتهم».

وفي 26 تشرين الأول عام 1935 أكدت (طليقة) التي كانت تتكلم بلسان السيدة «ب» النظرية التي قدمناها في هذا الكتاب فقد استعمل الكهنة الكبار علوماً مؤسسة على السحر والشعوذة كعلم التخاطر فكانوا يتنبَّؤون بالمستقبل ولم تكن معلوماتهم السحرية مكتوبة ولم يكن أحد يعرف عن هذه الأشياء سوى كبار الكهنة.

وفي المعابد حيث أطلق الكهنة العنان لأعمالهم ورغباتهم السرية يسود الصمت المطلق وفي الحرم المقدس الداخلي حيث لا يسمح إلا للكهنة بالدخول كانت الستائر الكثيفة تكتنف المكان وتمنع العيون من اختلاس النظر وقد كان الكهنة يحلقون شعورهم وحواجبهم، ويمشون وهم عراة إلا من قطعة من جلد الأسد وكانت هناك موسيقى متناغمة تعزفها أدوات نحاسية وقيثارات لخلق جو ثقيل الوطأة أثناء الاحتفالات.

وكذلك قد أثبتت (طليقة) بطلان الخرافة التي تقول: إنَّ الأهرامات قد بنيت على حساب القوة البشرية غير الإنسانية فالنصوص التي ذكرتها السيدة «ب» أثناء غيبوبتها تكشف الحقيقة وهي أن المصريين استعملوا عدة أنظمة من العتلات والبكرات استطاع الرياضيون وعمال الإنشاءات أن ينقلوا قطعاً من الصخور تزن عدة أطنان إلى علو أكثر من مائة متر لبناء الصروح الضخمة العالية ولم تكن هنالك من حاجة إلى استعمال الآلات المعقدة ولكن كانت تجري قياسات دقيقة لتوازي العتلات والأوزان وقد قالت «طليقة»: إن رجالنا الحكماء في مصر يملكون معرفة ستكون ذات قيمة لا تقدر بثمن لعالمكم إذا استطعتم استعادتها والاستفادة منها.

وقد ذكرت (طليقة) أن المصريين أنتجوا الكهرباء من الهواء ولكنهم لم يستعملوها لأجل الإضاءة بما يشبه حاملات المصابيح الجدارية.

وفي 30 أيار عام 1936 صرحت (طليقة) من خلال وسيطتها السيدة (ب) بمايلي:

«أود لو أستطيع أن أخبركم حول النوع الراقي من الحياة الذي لنا تماس به في العالم الآخر ولكني أجد أنه من الصعب أن أصف ذلك. ولقد تعلمنا أشياء كثيرة

أخرى ولكن من الصعب أن نتّصلَ بكم كما أنه من الصعب أن تتصلوا بنا، ومع ذلك فإن أرواح الأموات يمكن أن تتصل وتقترب من أي شخص بشكل أسهل مما هو الحال بين الأحياء على الأرض وإنَّ أحكامكم أنتم أهل الأرض الأحياء خاطئة.

فالأرض قد تطورت تطوراً ضعيفاً بالنسبة للكواكب الأخرى وإن المقدرة وتطور الأحياء على الأرض قد وصل إلى مرحلة منحطة بالمقارنة مع الكائنات العليا فالدول التي تعيشون فيها ما هي إلا قطرة ماء في خضم المحيط الهائل وإنَّني أشعر أنني لا شيء ولا أعرف شيئاً ما عدا تلك المهارة الضئيلةً شعاع أزرق من الضوء آت من عالم آخر».

«وهذا يساهم في تطوير إمكانيات الجمال والقوة والنور الذي يبهر الأبصار وإن حماة حياتي هنا يخبرونني أن هذه هي أشعة من الوعي العالي الذي سوف أصل وأعلو إليه عندما أستطيع أن أقطع علاقاتي كلياً مع الأرض وذلك سيحدث بعد وقت طويل فالبشرية في ذكائها ومعرفتها المحدودة لا تستطيع أن تتحمل الحقيقة وهي لا تستطيع أن تفهم المصادر التي لا حدود لها لهذا الكون العجيب».

وأخيراً وخلال عدة سنوات من التجارب استطاع الدكتور (وود) أن يعتصر حقيقة تاريخية واحدة من وسيطته وهذه الحقيقة هي ذات أهمية عظيمة بالنسبة لنا وهي أن طليقة قد قتلت وذلك لأن كهنة أمون الذين قد ضاقوا ذرعاً من موقف الأميرة البابلية المفعم بعدم الثقة قد تآمروا ضد زوجة الفرعون بقصد قتلها.

وقد أتت اللحظة الحاسمة عندما قامت طليقة ومعها (فولا) (وهي بنت كانت قد تبنتها) بنزهة في قارب على النيل فتقدم بعض القتلة المأجورين في قارب آخر وقلبوا قارب الأميرة فغرقت وفولا ولكن جثتهما اختفتا ولم يعثر لهما أحد على أثر.

وقد علق (وود) على ذلك بقوله «بعد موت طليقة قامت القوى الحاكمة بطمس اسمها من جميع النقوش والوثائق ويبدو أن هذا العمل كان عادياً في تلك الأيام ويعزو المؤرخون ذلك لتأثير الملكة (تيجي) وقوتها وعملها..

وتستمر طليقة إلى درجة أن تحاول بأن تبرهن على صدق أقوالها وذلك بإيراد اسم أحد أصدقائها المخلصين وهو الضابط (راما) الذي كشف الغطاء عن المؤامرات التي نفذها الكهنة ولكنه لم يستطع أن ينتقم وذلك لأنه نفسه قد مات في ميدان القتال وكبطل عسكري كان من الواجب دفن (راما) بكل ما يليق به من احترام وشرف عسكري، ولكن الكهنة الذين كانوا بالطبع يكرهونه رفضوا أن يقوموا بتقديم الهدايا والمراسم الاحتفالية المتبعة في مثل تلك المناسبات وهذا معناه بالنسبة للحياة المستمرة (للكا) أنَّهُ كان معادلاً للموت الأبدي.

ومع ذلك فإن قبر «راما» الذي لم يكتشف بعد، لا بد أن يكتشف في يوم من الأيام، هذا ما ادعت به طليقة وزادت على ذلك بأن قالت: إنّه سوف تكشف لفافات من ورق البردي في ناووس (راما) مع جثته وهذه اللفافات قد دسها أحد الكتبة ولفافة البردي هذه تحتوي تسجيلاً مفصلاً حول حياة طليقة وموتها.

ولسوء الحظ فالمشتركون في هذه التجارب الحديثة قد توفوا فالسيدة «ب» توفيت عام 1961 والدكتور (وود) توفي عام 1963 ولكن جميع التسجيلات التي جرت أثناء البحث والتجارب لا تزال موجودة وجاهزة لمساعدة أي باحث علمي جديد حتى إنَّ هنالك تسجيلَيْنِ منفصلَيْنِ عن القضية.

ولقد أثار التسجيل الأول ضجة عظيمة في الدوائر العلمية حتى إن الدكتور (نادنور فودور) وهو مدير مؤسسة الأبحاث النفسية طلب من الدكتور (وود) أن يقوم بإجراء تجربة أخرى مع السيدة «ب» وطلب أن تسجل هذه التجربة بحضور عدد من العلماء.

وافق (وود) على إجراء التجربة الجديدة والتي أجريت بحضور الدكتور «فودور» الذي كان المشرف على التجربة وقد حدثت التجربة حوالي الساعة العاشرة صباحاً في إحدى المكتبات على طاولة طويلة عليها مكبر للصوت وفي غرفة مجاورة جلس اثنان من مهندسي الصوت التابعين لأستوديو شركة (داي)

المحدودة ومعهم معدات التسجيل. وبعد أن اتخذ الدكتور (وود) والسيدة «ب» أمكنتهما أمام الطاولة طلب (وود) إحضار طبق من الورق لاستعماله في حالة رغبة السيدة (ب) في الكتابة أثناء التجربة ولم تكن هنالك أي حركات لليدين مثيرة للذكريات والعواطف ولا أي نظرات يقصد بها التنويم المغناطيسي وما حدث هناك لم يكن إلا نوعاً من عملية فكرية مكثفة وفجأة انحنى الدكتور (وود) فوق المكبر وقال بسرعة «استعداد».

وكانت هذه هي الإشارة لمهندسي الصوت لبدء عملية التسجيل ويضيف الدكتور (وود) ما حدث بعد ذلك:

بعد بضع لحظات تنهدت السيدة (ب) تنهداً عميقاً (ويمكن سماع التنهد بوضوح في التسجيل) وبدأت تتكلم باللغة الأجنبية بجمل بطيئة متقطعة وقد ذكرت الجمل المتناثرة في التتابع الذي ظهرت به في التسجيل بما فيه الوقفات وفي بعض الحالات كان معنى الجمل مفهوماً وفي بعض الأحيان كانت إحدى الجمل ينساب معناها في الجملة التالية أو القطعة التالية من الجملة التي بعدها.

ولكن لكي نتصور كم كانت عملية التسجيل والترجمة شاقة ومعقدة تلك الكلمات المصرية القديمة التي كانت تتفوه بها السيدة (ب) فإننا سوف ننقل ملاحظات الدكتور (وود) كما وردت في التسجيل الثاني.

ولكن أحد النقاد وهو عالم الحضارة المصرية الأستاذ الإنكليزيّ (جن) يذكر ويصر على أن اللغة التي تكلمت بها السيدة (ب) أثناء غيبوبتها لم تكن هي لغة مصر المفقودة «طبعاً لم يستطع الأستاذ (جن) أن يقدم برهاناً على ادعائه» ولكن دعونا نسمع نسخة طبق الأصل عن الوجه الأول من الأسطوانة.

«نحن أتينا لنسجل.. اللغة.. إنّها برهان.. لكي ترضي الأذن.. إنَّها ترى.. وتؤكد أنه.. إنّها بالتأكيد تحتوي على رسالة.. حقاً.. ما قد عمل من قبل.. من شيء مصنوع من المعدن ليرجع إلى الأذنين ما قد تكلم من قبل

الفونوغراف الذي أتى ليسهل الأشياء الصعبة . . . إنَّه لم ينجح بعد . . وهذا هذا هو ما حدث كما قلنا . . إنّ القوة تجعل ذلك ممكناً . . حقاً لقد ضاع . . ساعدوني . . أكملوا هذه الجملة . . أولئك الذين كانوا في عالم الأرواح . . بالقدر . . . الذين أعطوا به ما تحتاجه الأذن . . أعطني الإمكانية . . لكني أحسن ذلك . . وعندما ترون ذلك سوف نأتي . . ونخبركم عن آمالنا . . وعندما ترون أن . . هذه المصيبة يجب أن تزول أنا أقدم هذا الإعلان . . الآن فكروا وتأملوا . . وافقوا واحكموا وأجيزوا . . واستحسنوا ما قد كتب . . هذا الوقت . . كل هذا قد اختير لكي يخذل ويعوق المقاومة . . اشهدوا . . اشهدوا . . ساعدوني . . لكي أقوم بإعلان رابط . انسوا، انسوا ما قد قيل . . اعملوا نهاية له . . أعطوني مساعدتكم . . انظروا إلى حكمكم . . هم يجب أن يتلفوا . . النقاط الضعيفة . . ويمنعوا . . . ما هو مستمر . . إن التفسير . . دعوهم يسمعوا إليه . . يمكن أن تظهر ما قد حدث . . »

لقد كان الدكتور (وود) والدكتور (هولم) من الرواد ومن يومهم حتى الآن نجد أن التجارب من هذا النوع قد ازدادت ومنطقة البحث النفسي قد توسعت بشكل هائل ليس فقط بعدد المشتركين ولكن في الدرجة والنوعية التي وصلت إليها هذه الأبحاث بحيث أصبحت الحلقات العلمية المختصة تعترف بها .

ولكن في عام 1963 لم تكن المجهودات التي قام بها الدكتور (وود) وما شابهها تحظى بالاعتراف المناسب إنْ لم تكن منبوذة تماماً ومع ذلك فبما أن فروع الدراسات مثل دراسة التكلم بلغة أجنبية أثناء النوم أو الغيبوبة أصبح يقابل باحترام واهتمام .

وهكذا فنحن نرى أن إمكانية ظهور (ب) أخرى يزداد وبهذا فإننا ننتظر المستقبل حيث ستظهر أجوبة كثيرة محتملة لكثير من المسائل الغامضة الآن .